كرواتيا

نزهة على الساحل الدالماتي

> دومينيك ميرل

هه! أريد أن أذهب لمشاهدة المشاهير؟ جرّب منطقة دالماتيا.
وأين منطقة دالماتيا؟
في كرواتيا.
وأين كرواتيا؟
الآن فهمت! إذا عرف الجميع، فلن يأتي المشاهير.

"أعتقد أننا مدينون لجهود جون مالكوفيتش"، قالت ماريانا داريز، المديرة العامة للعلاقات العامة لمجلس سياحة دوبروفنيك حيث ذهبنا لاستلام دفعة من الخرائط والمنشورات. ومن التردد في الابتسامة على وجهها، لم أكن متأكدا مما إذا كان هذا إعرابا عن سرورها أو خوفا من الأسوأ.

وقيل إن الممثل الشهير مالكوفيتش الكرواتي النسب، كان يقضي عطلة الصيف هنا لعدة سنوات دون عائق ودون أن يلاحظه أحد. "وقد أخبر بعض نجوم السينما مثل شارون ستون، وكلينت ايستوود وتوم كروز، وبعد ذلك، حسناأأنت تعرف ما آل إليه الأمر" قالت ماريانا ثم ضربت بيدها على الطاولة الخشبية، "ولكن حتى الآن، لم نشاهد المصورين الصحفيين اللحوحين".

عدد سكان جمهورية كرواتيا نحو أربعة ملايين ونصف مليون نسمة، وقد كانت في وقت من الأوقات جزءا من يوغوسلافيا سابقا وتقع على الساحل الشرقي من البحر الأدرياتيكي قبالة إيطاليا. وتحتل منطقة دالماتيا النصف الجنوبي من الجمهورية، وتقع تقريبا ما بين مدينتي زادار ودوبروفنيك. وهذا الجزء من كرواتيا معروف باسم الساحل الدالماتي. وهذا هو المكان الذي يأتي إليه الأغنياء والمشاهير للإسترخاء واللعب بعيدا عن الأنظار.

بيل غيتس يأتي أحيانا في قاربه بدون أن يلاحظه أحد، وكذلك ستيفن سبيلبرغ، ويتمشى ستيف بوشمي، وليزا كيدرو، وحتى جيمس بوند نفسه (روجر مور) ويتناولون قهوة الكابوشينو على مقاهي الرصيف، ولا أحد يتقدم لهم بقلم أو ورقة. ويمكن التحدث عن مناطق معزولة، فهناك ما يزيد على الألف من الجزر الصغيرة على مقربة من كرواتيا، ونحو عشرة في المائة منها فقط مأهولة. احسب ذلك. إنها تتسع لأكثر من تسعمائة مشهور، واحد لكل جزيرة.

"الجزء الأكبر من الجزر غير المأهولة مملوك من قبل الحكومة، وهي للبيع"، كما قالت ماريانا. "وبطبيعة الحال، هناك بعض قوانين البناء التي ينبغي اتباعها لحماية الجمال الطبيعي للساحل."

أما الجزر المأهولة التي

سبليت
Split

تجتذب معظم المشاهير فهي هفار، مليت وكركولا، مسقط رأس ماركو بولو. وهذا زعم، بطبيعة الحال، لأن من مدينة البندقية لديها الكثير لتقوله عن ذلك. وكل هذه الجزر الثلاث فيها مناطق صغيرة رومانسية للاختباء، مع مغارات مخفية ومنظر مدهش على البحر الأدرياتيكي بألوانه الأزرق الرائع والأخضر وخليط منهما.

ولكن هل ستظل دالماتيا مخبأ سرّيا صغيرا للمشاهير؟ بين الحين والآخر تأتي سفن سياحية، ومعظمها يرسو عند دوبروفنيك، وهي تفرغ حمولتها البالغة أكثر من اثني عشر ألف سائح في اليوم خلال الموسم، وهي تروّج للمنطقة على أنها "نيس الجديدة ومونت كارلو" أو حتى بشكل أكثر درامية، "إيطاليا القادمة".

حسنا، إن اللقب الأخير قد يكون مبالغا فيه، ولكن كرواتيا بالتأكيد تسير بسرعة لكي تصبح واحدة من المواقع الساخنة الجديدة على المسار السياحي، حيث لن تتسنى لمشاهير مثل ريتشارد كير (نعم، هو أيضا) القدرة على التجوال دون أن يلاحظهم أحد تحت المظلات وقبعات البيسبول.

وقامت الحكومة أيضا، بسلسلة من الإعلانات عن السياحة في السينما والتلفزيون والمطبوعات، عاجلا أو آجلا، ومثل سمك القرش، سوف يظهر على السطح المصورون الصحفيون في بعض هذه الجزر الخاصة.

بدأنا جولتنا في شمال العاصمة زغرب، محور الأعمال التجارية والمالية، وثمة تأثير جرماني واضح هنا، بالقياس إلى نمط حياة البحر الأبيض المتوسط على الساحل الدالماتي.

وفي حين أننا لم نشاهد أيّا من النجوم أثناء إقامتنا التي استمرت عشرة أيام، فقد لاقينا بعضا ممن يتشبهون بهم، ابتداء من فندق ريجنت حيث أوصلنا الى غرفتنا شبيه بموسيقي مع فرقة المغنية ماريا كاري. ثم بدأنا جولة على الأقدام في هذه المدينة التي أنشئت في العصور الوسطى، وتمتد جذورها إلى عام 1094م.

وكما هو الحال في معظم المدن الأوروبية، هناك "المدينة القديمة" و"المدينة الجديدة" وكثيرا ما يوجد تداخل بينها. محور المدينة هو الكاتدرائية الجرمانية الرائعة مع أبراجها المدببة المميزة. تقع الكاتدرائية في وسط ساحة سانت مارك في البلدة القديمة، مقابل القصر ومبنى البرلمان.

ولكن جاء المطر، ولذا دلفنا إلى متحف لتفاديه، ثم في وقت لاحق دخلنا مطعما يسمى "بالتزار" وهو يقدّم المأكولات البحرية. وكان لذيذا، ولكنه غالي الأسعار (وكانت القائمة لستة منا ما يقرب من خمسمائة دولار، مع سمكتين كبيرتين بتكلفة مائة دولار تقريبا لكل منهما).

بعد زغرب، توجهنا بالسيارة نحو أكبر حديقة وطنية في كرواتيا، بحيرات بليتفيش، ولكن ليس قبل أن نصادف الشبيه الثاني للمشاهير، في مقهى في قرية ساموبار الجميلة. هذه المرة كان يمثل شبح بيتر سيللر في دور الدكتور ستارينجلوف. أما في واقع الحياة، فهو صاحب متجر التحف.

تقع بحيرات بليتفيش، في منتصف الطريق بين زغرب والسواحل، وتم اختيارها ضمن قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي. جمال الحديقة الوطنية يكمن في البحيرات الستة عشر التي تمثل سلسلة مترابطة بواسطة مجموعة من الشلالات في غابة.

منظر للشاطئ الدلماتي
View of Dalmatian coast

ميناء زادار
City Harbour/Zadar

زادار حيث يبدأ الشاطئ الدلماتي Zadar, where Dalmatia begins

كورنيش سبليت View of Split promenade

وهي واحدة من المشاهد الطبيعة المهيبة.

ثم توجهنا إلى زادار وبداية الساحل الدالماتي. وزادار التي عمرها ثلاثة آلاف عام هي مدينة هادئة لمدة ستة أشهر ولكن تعود إليها الحياة مع مجيء السياح من آيار/مايو إلى تشرين الأول/أكتوبر، ومعظمهم من القادمين من إيطاليا عبر البحر الأدرياتيكي. وفيها عدد من الكنائس الرومانية، وتفتخر نين القريبة باحتوائها على أصغر كاتدرائية في العالم، كنيسة الصليب المقدس. كم هي صغيرة؟ لم يسمح لنا الوقت بالتأكد، فاعتمدنا على قولهم.

وكانت المحطة التالية في مدينة سبليت حيث اكتشفنا الشبيه الثالث، المغني طوني بنيت، وهو يعمل نادلا في مطعم المأكولات البحرية الصغيرة. ولكن النجم الحقيقي الخارق في سبليت هو قصر ديوكليتيا الواسع، وهو أيضا من المواقع التي اختارتها اليونسكو.

بنى القصر الإمبراطور ديوكليتيا عند تقاعده في القرن الرابع، والقصر محافظ عليه بصورة مدهشة، ويعتبر عموما البناء الأكثر شهرة وكمالا من الناحية المعمارية على الساحل الكرواتي. وحديقة القصر التي تحيط بها الأسوار، كانت في وقت من الأوقات منزلا لنحو تسعة آلاف شخص.

ولكن على الرغم من التاريخ والحفاظ على القصر، سمحت الحكومة ببناء 20 بناية جديدة في الموقع، بما في ذلك المتاجر ومحطة بنزين، ولذا يبدو اليوم نصف جديد، ونصف قديم، وإلى حد ما، نصف مكتمل. وهذا من المسائل المثيرة للجدل للغاية في سبليت ولم أجد أحدا من الأهالي ممن قد سر بهذا المزيج.

وكانت دوبروفنيك محطتنا النهائية، وعلى جانب الطريق حصلت لنا مفاجأة غير متوقعة، فقد مر الطريق عبر حدود البوسنة لحوالي 20 كيلومترا قبل أن نعاود الدخول إلى كرواتيا. وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة للوصول من هنا إلى هناك، كما قال سائقنا.

وبالنسبة إلى معظم الناس فإن إسم دوبروفنيك مرادف لجدران المدينة السحرية، وهي من دون شك أكبر منطقة جذب سياحي في كرواتيا وواحدة من الكنوز الكبرى في العالم. "على من يرغبون في مشاهدة الجنة على الأرض،" كما كتب جورج برنارد شو، "ينبغي أن يأتوا إلى دوبروفنيك".

وخلال حرب الاستقلال (1991-1995م)، والتي تعرف هنا باسم "الحرب الداخلية"، قصف الجزء الأكبر من المدينة المسوّرة بالقنابل. إلا إنه تم ترميمها بدقة، على الرغم من أنها لم تعد "القرية" المزدهرة، كما كانت ذات مرة، وكان يقيم فيها حوالي سبعة آلاف نسمة، وفيها الأسواق المفتوحة والمتاجر الصغيرة والمطاعم.

واليوم، هناك متاجر متميزة حيث كانت أسواق الحي تقف ذات مرة، وكثير من شقق الطابق العلوي التي تطل على الشوارع المرصوفة بالحجر، تحولت إلى شقق خاصة. ونتيجة لذلك، فإن السكان البالغ عددهم نحو ألف وخمسمائة نسمة لا يستطيعون شراءها بهذه الأسعار. الأزقة الضيقة التي تؤدي الى مدرّجات عالية، غالبا لا تؤدي إلى أي مكان، لأن العديد من الأحياء التي تعلوها لم تعد موجودة.

يمكن للمرء التجوال في المدينة القديمة في أقل من ساعة، داخلا من بوابة وخارجا من أخرى، أو أن يختار قضاء يوم كامل هناك.

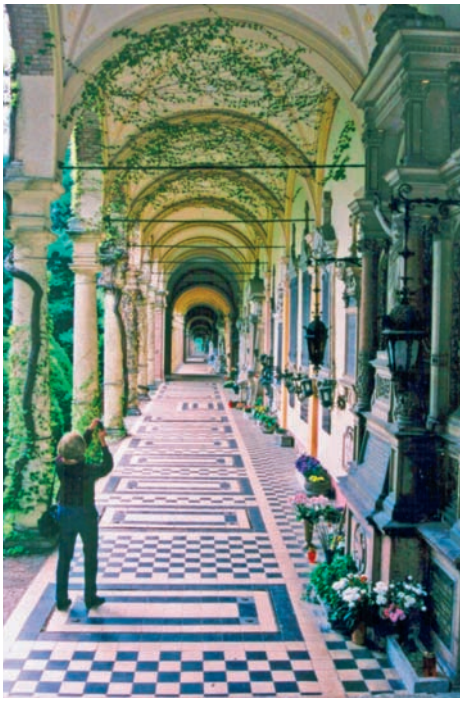

رواق القلعة في سبليت Castle corridor/ Split

مقهى في زادار
Café in Zadar

وزيارة المتاحف، والكنائس، والمحلات التجارية واستكشاف الحارات. ولكن عليك أن تنظر بإمعان شديد لتمييز المقيمين القلّة عن السياح.

ومع ذلك، فان إعادة الإعمار أمر رائع ؛ فالمباني تبدو هي نفسها التي رأيتها في أول زيارة قمت بها إلى هنا قبل عشرين عاما. الشيء الوحيد الذي كان مفقودا هو الزحام والضجيج الطبيعي لحياة القرية. وبصراحة، فإن المدينة المسوّرة القديمة تبدو أكثر مهابة من بعيد مما هي عليه من الداخل.

دليلتنا مرشدتنا، ساندرا، قالت إنها نشأت داخل الأسوار وهي تتذكر القصف. وقد طلبت منها أن تصف الحياة ما قبل الحرب.

"أي حرب؟" كان ردّها. ■

(دومينيك ميرل هو المدير الكندي للرابطة الدولية لكتّاب السفر، وهو يقيم في مونتريال، بكيبيك)

المدينة المسوّرة والميناء
Walled City and harbour

إذا كنت تنوي السفر

اللغة الرسمية هي الكرواتية، الحروف المكتوبة تكون باللاتينية والعملة هي الكونا، ولن يكون هناك اعتماد على اليورو فى المستقبل القريب.

أفضل المشتريات زيت الزيتون ومنتوجات الحرف اليدوية.

تربط القطارات والحافلات أنحاء الجمهورية، ولكن القطارات كثيرا ما تتوقف والحافلات عادة تكون أسرع وأرخص.

لا ينصح بمناقشة السياسة؛ فالجمهورية تعرضت للغزو مرات عديدة.

للمزيد من المعلومات عن كرواتيا، حاولوا الموقع www.croatia.hr.

ولدوبروفنيك www.visitdubrovnik.hr.

القديم والحديث في سبليت
Old and new in Split